السيـاسة النبويــة في اكتشاف القدرات وتنـمية المـهارات

عبد الكريم عثمان علي عثمان[1]

حسن عبد الله حمد النيل[2]

مستخلص

السنة النبوية الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم معين لا ينضب، متجدد بمدد الوحي الإلهي، اغترف منه العلماء كل حسب طاقته ومشربه، كيف لا وفي سنة رسول الله ﷺ الهدي المتكامل، الذي يبدأ من بناء العقيدة الصحيحة، ثم ينتزل ليعم كل مفردات الحياة الإنسانية قولاً وفعلاً.تناول هذا البحث موضوع السياسة النبوية في اكتشاف القــدرات وتنمية المهارات، ويلتقي معنى السياسة في هذا البحث مع المعني المعروف للتربية إذ كل منهما يعتني بتنمية الإنسان. جاء منهج النبي ﷺ في اكتشاف القدرات على مستويين: نظري وتطبيقي، واهتم النبي ﷺ بمعرفــة قــدرات أصــحابه، ليضع كل منهم في ما يناسبه، وأتخذ وسائل سياسية في اكتشاف القدرات منها: دقة الملاحظــة، والأخــلاق الحســنة، والأسئلة وتحريك الأذهان وغيرها، ومن الوسائل النبوية في تنمية المهارات الإيمان بالله، والدعاء، والتحفيز والتشجيع، وتبادل الخبرات والمعلومات وغيرها.

ABSTRACT

Sunnah on its owner the best prayer and delivery inexhaustible , renewable duration divine revelation , insider cruised from scientists each according to his ability and drank , how can it not in the Sunnah of the Messenger of Allah peace be upon him guidance is integrated , which starts from building the correct belief and then descends to engulf every vocabulary human life in word and deed .This research dealt with the subject of politics in the prophetic discovery capabilities and skills development , and meet the meaning of politics in this research concerned with the well-known for breeding because each takes care of the development rights.The approach of the Prophet peace be upon him in discovery capabilities to Mistooan : theoretical and applied , and care of the Prophet peace be upon him to know the capabilities of his companions , to put them all in what suits him , and taken political means in the discovery capabilities including: accuracy of observation , and good morals , and the questions and move the mind and others, it means the development of skills in the prophetic faith in God , and pray , and stimulators , and the exchange of experiences and information among others

الكلمات المفتاحية:

القدرات – المهارات – التحفيز والتشجيع

١- جامعة وادي النيل – السودان

٢- جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا - معهد العلوم والبحوث الإسلامية.

مقدمة

السنة النبوية الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم معين لا ينضب، متجدد بمدد الوحي الإلهي، اغترف منه العلماء كل حسب طاقته ومشربه، كيف لا وفي سنة رسول الله ﷺ الهدي المتكامل، الذي يبدأ من بناء العقيدة الصحيحة ثم يتنزل ليعم كل مفردات الحياة الإنسانية قولا وفعلا.

لقد بعث رسول الله صلوات الله وسلامه عليه في أمة أمية يحف بها الجهل والتخلف في كل مظاهر الحياة، فلما أوقد فيها ﷺ شعلة الهداية الربانية تحولت هذه الأمة في يسير من الزمن إلى أمة رائدة قائدة، قدمت للعالم نموذجاً حضارياً لم يشهد له التاريخ الإنساني مثيلاً، وما كان ذلك ليكون لو لم يسبقه بناء سليم متكامل للفرد الذي هو نواة الأُسرة والمجتمع.

إننا بحاجة ماسة وملحة للغوص في سنة رسول الله ﷺ لاستكشاف المنهج النبوي في تربية الأفراد من خلال معرفة قدراتهم، ثم السعي نحو تطويرها وتنميتها وصولاً لبناء الأمة الربانية، وهذا ما سيناقشه هذا البحث.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى بيان السياسة النبوية في اكتشاف قدرات الصحابة وتنمية مهاراتهم، وكيف استفادت هذه السياسة منهم في بناء الدولة.

سبب اختيار الموضوع: السنة النبوية معين لا ينضب وهي متجددة وتحتوي أفضل المناهج لبناء الإنسان وقدراته، فقد اخرج هذا المنهج جيل الصحابة والتابعين، فلا بد من محاولة إحياء هذه المعالم.

المبحث الأول

حول مفهوم السياسة النبوية والقدرات والمهارات

الإنسان حامل الأمانة الإلهية، قال تعالى:﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾[1]، فقد خلق الله الإنسان وهداه النجدين، وجعل له السمع والبصر والفؤاد، والعقل والقلب، وبعد كل ذلك لم يتركه سدي، بل أرسل له الرسل ليدلوه على طريق الفلاح، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾[2]، وقال:﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾[3]، فالرسل هم هداة الخلق، ودعاتهم إلى ربهم، من خلال الدين الذي ارتضاه الله رب العالمين، والدين في واحد من تعريفاته هو وضع إلهي سائق لذوي العقول السليمة باختيارهم المحمود إلى الصلاح في الحال والفلاح في المآل[4]، وصلاح الحال وفلاح المآل رجاء كل مؤمن بالله ورسوله.

إن رسالة سيدنا محمد ﷺ هي خاتمة الرسالات، فلا نبوة بعد رسول الله، ولذلك جاء الإسلام موافقا للفطرة، قال تعالى:﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[5]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل

---

(1) سورة الأحزاب، الآية ٧٢

(2) سورة فاطر، الآية ٢٤

(3) سورة النساء، الآية ١٦٥

(4) يوسف حامد العالم(١٩٩٤م) المقاصد العامة للشريعة الإسلاميّة، ط٢، دار الكتاب الإسلامي الرياض، ص٢٠٣ .

(5) سورة الروم، الآية ٣٠

تحسون فيها من جدعاء[٦]، إن للفطرة في ديننا معني عظيم شامل لمعطيات الدين، عقيدة وعبادة معاملة وأخلاقاً، يقول الدكتور عبد الحليم أحمدي في معنى الفطرة: أن ما جاء به الإسلام من المباديء العظيمة يوافق ما خلق الله عليه الإنسان من الصفات المختلفة، وما أوجد عليه هذا الكون الذي يعيش فيه ذلك الإنسان من السنن والنواميس القويمة[٧]، ومن سنن ونواميس هذا الكون تفاوت النَّاس واختلافهم، وسعيهم نحو الأفضل، ويسعي هذا البحث لبيان سياسة النبي ﷺ في معرفة قدرات أصحابه وتنمية مهاراتهم.

حول مفهوم السياسة النبوية:

السّوس بالفتح: الرياسة، وساسوهم سوساً، وإذا رأسوه قيل سوّسوه وأساسوه، ورجل ساس من قوم ساسة وسوّاس وأنشد ثعلب:

سادة قادة لكل جميع *** ساسة الرجال يوم القتال

وسوّسه القوم جعلوه يسوسهم، والسياسة فعل السائس وهو من يقوم على الدواب ويروضها[٨]، ومن المجاز سست الرعية سياسة بالكسر أمرتها ونهيتها، وساس الأمر سياسة قام به[٩]، وفي الحديث: (كانت بنو اسرائيل تسوسهم أنبياؤهم أي تتولي أمورهم كما يفعل الأمراء والولاة بالرعية، والسياسة القيام على الشيء بما يصلحه)[١٠]، وقال أبو البقاء مقسما السياسة ومفصلاً في معناها: السياسة هي استصلاح الخلق بإرشادهم إلى الطريق المنجي في العاجل والآجل، وهي من الأنبياء على الخاصة والعامَّة في ظاهرهم وباطنهم، ومن السلاطين والملوك على كل منهم في ظاهرهم لا غير، ومن العلماء ورثة الأنبياء على الخاصة في باطنهم لا غير، والسياسة البدنية تدبير المعاش مع العموم على سنن العدل[١١] تلتقي السياسة بهذا المعني مع معني التربية، لأنَّ التربية هي العملية التي يتم بمقتضاها تنمية الشخصية الإنسانية، وبناء الإنسان الكامل داخل الهيكل الأدبي، بناء يبلغ معه غايته التي يرجوها من الكمال الإنساني، ويكون ذلك من جميع الجوانب النفسية والعقلية والاجتماعية [١٢]، والتربية تختلف باختلاف فلسفتها ومناهجها، فالتربية الإسلاميَّة هي التي تنبع من تعاليم الإسلام، وتستمد منه شرعيتها ومناهجها.

إن السياسة بهذا المعني تعني المنهج المتكامل الذي ربي عليه رسول الله ﷺ أصحابه، وأخرجهم به من ظلمات الشرك إلى نور الإيمان، ومن ضلالات وخرافات الجاهلية وتخلفها إلى سماحة ورقي وخير الإسلام، ومن عالم إهدار الطاقات والقدرات فيما يضر ولا ينفع إلى ربط الحياة بهدف سام وجليل هو رضاء الله، فقد أصلح الله به أحوالهم الظاهرة والباطنة، وصاروا في مدة وجيزة قادة للإنسانية، ومؤسسين لأرقي حضارة عرفتها البشرية، وقد بيَّن صلوات الله وسلامه عليه في كثير من أحاديثه هذا الفضل الإلهي، فقد جاء في صحيح البخاري: (لما أفاء الله على رسوله ﷺ يوم حنين، قسم في النَّاس في المؤلفة قلوبهم، ولم يعط الأنصار شيئاً، فكأنَّهم وجدوا إذ لم يصبهم ما أصاب النَّاس، فخطبهم فقال: يا معشر الأنصار، ألم

---

(٦) النووى، أبو زكريا يحى بن شرف الدين(د.ت) المنهاج شرح صحيح مسلم، كتاب القدر، ج١٦، المطبعة المصرية، ص٢٠٧.

(٧) عبد الحليم أحمدي، فطرية الإسلام عند ابن تيمية، مجلة الشريعة والدراسات الإسلاميَّة، العدد ٢٠ مايو ١٩٩٣م.

(٨) الزبيدي، مرتضى(د.ت) تاج العروس، ج١٦، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ص١٥٩ .

(٩) المرجع السابق، ص١٥٧ .

(١٠) ابن منظور، محمد بن مكرم(١٣٠٠هـ) لسان العرب، ج٧، المطبعة الأميرية بولاق، مصر، ص٤١٣ .

(١١) باقر شريف القرشي(١٩٨٧م) النظام السياسي في الإسلام، ط٤، دار المعارف للمطبوعات، ص٣٨ .

(١٢) حمودة، محمد يوسف(١٩٨٩م) منهج التربية عند الإمام أبي العزائم، ط١، دار المدينة المنورة للطبع والنشر، ص٣٥ .

أجدكم ضُلالاً فهداكم الله بي، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي، وكنتم عالة فأغناكم الله بي . كلما قال شيئا قالوا: الله ورسوله أمن، قال: ما يمنعكم أن تجيبوا رسول الله ﷺ. قال: كلما قال شيئا قالوا الله ورسوله أمن، قال: لو شئتم قلتم: جئتنا كذا وكذا، أترضون أن يذهب النَّاس بالشاة والبعير، وتذهبون بالنبي ﷺ إلى رحالكم، لولا الهجرة لكنت امرءا من الأنصار، ولو سلك النَّاس وادياً وشعبا لسلكت وادي الأنصار وشعبها، الأنصار شعار والنَّاس دثار، إنَّكم ستلقون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض)[١٣].

حول مفهوم القدرات:

القَدَر: القضاء والحكم، وهو ما يقدره الله عز وجل، والقَدَر: مبلغ الشيء ويضم، والقَدر: الطاقة [١٤]، ويقال: استْقْدِر الله خيرا، واسْتَقْدَر الله خيرا: سأله أن يقدر له به قال:

فاسترزق الله خيرا وارضينَّ به
فبينما العسر إذْ دارت مياسير

وفي حديث الاستخارة اللهم إني أستقدرك بقدرتك: أي أطلب منك أن تجعل لي عليه قدرة، وقدر الرزق يَقْدُره: قسمه، والقدْر والقُدْرة والمِقدار: القوة، والاقتدار على الشيء: القدرة عليه، و القُدرة مصدر قولك: قَدَرَ على الشيء قُدْرة أي ملكه، فهو قادر وقدير... والقَدْر: الغني والإيسار، وهو من ذلك لأنه كله قوة [١٥] والقدرة من صفات الله تعالى، قال أبو منصور التميمي: قد وردت السنة بذكر القادر والمقتدر في أسماء الله تعالى، وزاد القرآن الكريم على هذين الاسمين باسمه القدير، والقدير أبلغ من القادر، والمقتدر كذلك، ودلالتها في حق الله تعالى القدرة على كل شيء، وحيث يوصف المخلوق بلفظ قادر، فيعني القدرة على بعض المقدورات دون بعض[١٦]، إن القدرات التي نتكلم عنها في هذا البحث نعني بها الإمكانات الشخصية للأفراد جسديا وعقليا ووجدانيا، فالإنسان روح وجسد، وللروح حاجاتها كما للجسد حاجاته، وليس للإنسان قدرة إلا بقدرة الله، واقتضت حكمته تعالى أن يتفاوت النَّاس في قدراتهم وقواهم الجسدية والعقلية والوجدانية وغيرها، فمن النَّاس من زاده الله بسطة في العلم والجسم، ومنهم من رزقه الفهم والذكاء الخارق ومنهم من منحه القدرة على القيادة وهكذا، وهنا يأتي دور المربين والمصلحين، كيف لهم أن يكتشفوا قدرات النَّاس كل في مجاله؟ وكيف لهم تنمية ذلك والوصول به إلى مراقي الكمال البشري ؟ ، إننا حين نحاول تحديد المشكلة التي يعاني منها العالم الإسلامي المعاصر نجدها تتمثل في سوء استغلال العقول البشرية وسوء توزيعها في مواقع الحياة المختلفة، وعن هذا السوء تنتج مضاعفات مدمرة في السياسة والاقتصاد والإدارة والأمور العسكرية، والمعرفة وغير ذلك، إذ الأصل أن الله يخلق في كل جيل درجات من الفهم والعلم ليصير منهم قيادة يمتحنون بحسن الاقتداء والتنفيذ: ﴿ وَرَفَعَ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾ ﴾ [١٧]، والتربية السليمة هي التي تعد الخامات البشرية وتوزعها في درجات المسؤولية ومواقع العمل[١٨].

إن منهج التربية النبوية الذي أعدَّ خير أمة أخرجت للناس، يقدم الأسوة الحسنة في معرفة

---

(١٣) البخاري، محمد بن إسماعيل(١٩٨٧م) الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: مصطفى ديب البغا، ط٣، ج٥، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت ص١٥٧.

(١٤) الزبيدي، تاج العروس، مرجع سابق، ص٣٧٠ .

(١٥) ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ص٣٨٤.

(١٦) نتان، عبد الكريم (١٩٩٤م) عون المريد شرح جوهرة التوحيد، ط١، ج١، دار البشائر للنشر والتوزيع، دمشق، ص٣٣٠.

(١٧) سورة الأنعام، الآية ١٦٥.

(١٨) هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس ماجد الكيلاني، ص٣٠٠.

الكفايات والقدرات وكيفية تنميتها، فالرجل المناسب في المكان المناسب عمل تقتضيه سنن ونواميس الله في هذا الكون، ومبدأ تدعو إليه الفطرة السليمة وتتبناه كل النظريات الإدارية القديمة والحديثة، ولن نجد أفضل ولا أبرك مما طبقه رسول الله ﷺ مع أصحابه، فمنهجه في ذلك هو خير المناهج ومدرسته هي أفضل المدارس، وهذا ما سيتبين بالتفصيل في المباحث القادمة.

حول مفهوم المهارات:

الماهر: الحاذق بكل عمل، وأكثر ما يوصف به السابح المجيد... وقد مهر الشيء وفيه وبه يمهر مهرا بالفتح ومهورا بالضم ومهارا ومهارة بفتحهما أي صار حاذقا[١٩]، وقالوا: لم تفعل به المِهَرة، ولم تعطه المَهَرة وذلك إذا عالجت شيئا فلم ترفق به ولم تحسن عمله، وكذلك إن غذّي إنسانا أو أدبه فلم يحسن[٢٠].

وفي الحديث: الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة. والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه، وهو عليه شاق، له أجران[٢١]، قال عياض: المهارة: جودة القراءة بجودة الحفظ ولا يتردد فيه[٢٢]، فالمهارة هي تجويد الأداء وإتقان العمل، وإذا كان هذا المبدأ من المباديء التي ينادي بها جميع أهل الملل والنحل لتحقيق الرفاه الدنيوي والتقدم التكنلوجي، فإن الإسلام يأمر بإتقان العمل وتحسينه، ويؤسس لمفهوم الجودة الشاملة وإتقان التخصص، وفق نظرة كلية لهذا الوجود الذي تكون فيه الدنيا بكل أعمالها مطية للآخرة يسعي الإنسان فيها لتحقيق أهدافه وأهداف أمته، وليست المهارة والحذق في الأعمال مطلوبة على المستوي الفردي فقط، وإنما الأمة بمجموعها مدعوة لتحقق التفوق على باقي الأمم لتقدم للناس خير الدنيا على منهج رباني يحس فيه الإنسان بالأمان والطمأنينة، إن نصوصا كثيرة من القرآن والسنة تدعو لهذه القضية وتضع لها الحوافز المادية والمعنوية، لأهميتها الاجتماعية والاقتصادية، فالأمة التي تصاب بالغثائية والعبثية في الانتاج وعلاقات العمل، تهدر طاقة كبيرة من طاقتها الاقتصادية، وتضيع عليها مواردها البشرية وتصبح في مؤخرة الأمم، تصبح أمة مستهلكة معطلة لطاقاتها العقلية والجسدية، فتغيب عن الشهود الحضاري الذي هو مهمتها وأساس رسالتها.

إن النَّاس يتفاوتون في كل شيء، هذا أمر واقع في كل مجتمع بشري، وليس هذا خللاً في ميزان الكون ونواميسه، إنَّما وراءه من الحكم والأسرار الكثير، صرح القرآن الكريم في بعض آياته ببيان الحكمة من ذلك فقال تعالى:﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[٢٣]، وأكثر ما يظهر التفاوت بين بني آدم لأن لهم لهم طاقات هائلة كبيرة، يقول الراغب الأصفهاني بعد أن ذكر فضل الإنسان على الحيوان: ولما ذكرنا لم يكن بين بعض هذه الأنواع وبعضها من التفاوت ما بين إنسان وإنسان، فإنك تري واحدا كعشرة، بل واحدا كمائة، وعشرة أخري هدرة دون واحد، كما قيل لامرأة في منامها: أعشرة هدرة أحب إليك أم واحد كعشرة؟ فقالت: بل واحد كعشرة، لا بل تري واحدا كألف وألف مثل واحد كما قال القائل:

ولم أر أمثال الرجال تفاوتت
لدي المجد حتي عُدَّ ألف بواحد

---

(١٩) الزبيدي، تاج العروس، مرجع سابق، ص١٥٦.

(٢٠) ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ص٣٥.

(٢١) مسلم بن الحجاج(د.ت) الجامع الصحيح، باب فضل الماهر بالقرآن،ج٢، المكتبة العامرة تركيا، ص١٩٥.

(٢٢) القاضي عياض(١٩٩٨م) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ط١،ج٣، دار الوفاء مصر، ص١٦٦.

(٢٣) سورة الزخرف، الآية ٣٢.

بل قد تري واحدا كعشرة آلاف، وتري عشرة آلاف دون واحد كما قال عليه السلام: النَّاس كإبل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة[٢٤]، والإبل في تعارفهم اسم لمائة بعير، فمائة إبل هي عشرة آلاف[٢٥]

المبحث الثاني: السياسة النبوية في اكتشاف القدرات

بعث الله رسوله محمدا ﷺ ليخرج النَّاس من الظلمات إلى النور، وليحقق لهم الحياة الكريمة، أفرادا وجماعات، فآمن به أصحابه رضوان الله عليهم، وأحبوه وقدموه على النفس والمال والولد، وجاهدوا معه ونصروه فمنحهم الله شهادة الفلاح حيث قال فيهم: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[٢٦]، أما من جانبه هو ﷺ تجاههم فقد كان هو المربي والقائد والمعلم والهادي، فقد قال الله فيه: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾[٢٧]، وقال في حقه أيضا: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[٢٨]، وقال فيه أيضاً: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[٢٩] .

قال القاضي عياض: اعلم أن في كتاب الله العزيز آيات كثيرة مفصحة عن جميل ذكر المصطفي ﷺ، وعدِّ محاسنه، وتعظيم أمره، وتنويه قدره[٣٠]، لقد بعث رسول الله ﷺ في أمة أمية، معتقداتهم فاسدة، وعاداتهم سيئة، وأفكارهم منحرفة، وطاقاتهم مهدرة، وحياتهم كلها سدي، فأخذ بيدهم بسياسة حكيمة، تغلغل من خلالها في وجدانهم فأسلموا له القياد، وأسهلوا له المقاد، فانكشفت أمامه خبايا نفوسهم، كأنها كتاب مفتوح، يعرف منهم ما لا يعرفونه عن نفوسهم، ويعالج فيهم ما عجزوا عن علاجه، حتي تكاملت ملامح المجتمع المسلم في المدينة بعد هجرته إليها بتأسيس دولته المباركة التي أصبحت الحاجات تتطور فيها يوما بعد يوم، والدولة إنما تنهض برعاياها ومواطنيها، ولذلك حرص رسول الله ﷺ على اكتشاف قدرات أصحابه لينبني على ذلك توزيعهم في مرافق الدولة الناشئة في كل المجالات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعسكرية،دون محاباة ولا مجاملة، ليؤسس ﷺ بذلك منهجا في الإدارة غير مسبوق.ولقد جاء منهجه ﷺ في ذلك على طريقتين: الطريقة الأولي نصوص تحمل موجهات عامة فيها توجيهات لكل الناس، فكأنها تمثل الإطار النظري لهذا العمل، ونصوص جاءت مع أشخاص بعينهم كانت تمثل الإطار التطبيقي العملي، ولا استغناء عن واحد من الاتجاهين، فكل منهما له خصوصيته التي ينبغي أن يفهم من خلالها.

نماذج من النصوص العامَّة:

(٢٤) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الرقاق، بلفظ إنما الناس كالإبل المائة لا تكاد تجد فيها راحلة، ج٨، مرجع سابق، ص١٠٤.

(٢٥) الراغب الأصفهاني(١٩٨٥م) الذريعة إلى مكارم الشريعة، ط١، دار الصحوة، القاهرة، ص٨٨.

(٢٦) سورة الأعراف، الآية ١٥٧.

(٢٧) سورة الشورى، الآية٥٢.

(٢٨) سورة القلم، الآية٤

(٢٩) سورة الأعراف، الآية ١٥٩.

(٣٠) القاضي عياض(د.ت) الشفا بتعريف حقوق المصطفى،ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، ص١٣.

يقول رسول الله ﷺ: إذا كانت أمراؤكم خياركم، وأغنياؤكم سمحاءكم، وأموركم شوري بينكم فظهر الأرض خير لكم من بطنها، وإذا كان أمراؤكم شراركم، وأغنياءؤكم بخلاءكم، وأموركم إلى نسائكم فبطن الأرض خير لكم من ظهرها[٣١]، فهنا يبين صلوات الله وسلامه عليه حجم الخلل الذي يدفع ثمنه المجتمع حينما يكون شراره هم الأمراء، وحينما ينزوي الرجال عن مهمتهم الأساسية في إدارة الشأن العام والخاص ويتركوا المجال للنساء فقط،، فالحديث فيه دعوة للبحث عن الأخيار وإعادة إنتاجهم في المجتمع، والخيرية معني جامع يتمثل في القدرات العالية مع الإيمان والعمل الصالح، وليس في الحديث انتقاص لقدر المرأة أو التقليل من شأنها إنما الذي يدعو إليه الحديث أن تحدث موازنة في المجتمع. ويقول ﷺ: إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة، قال: فكيف إضاعتها يا رسول الله ؟ إذا أُسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة [٣٢]، قال ابن حجر: والمراد من الأمر جنس الأمور التي بالدين،كالخلافة والإمارة والقضاء والإفتاء وغير ذلك[٣٣]، وفي هذا الحديث دعوة واضحة للبحث عن أصحاب القدرات بمختلف تخصصاتهم، ليوضع الرجل المناسب في المكان الناسب، فلكل أمر أهلون كما في الحديث، وأهل كل عمل هم المقتدرون على أدائه، الصالحون للقيام به على الوجه الأكمل، إنها دعوة نبوية لمحاربة الفساد الإداري، ودعوة نبوية للتخطيط والتدريب السليمين الذين ينجو بهما المجتمع من هذه الآفات.

ويقول صلوات الله وسلامه عليه: إنَّما النَّاس كالإبل المائة لا تكاد تجد فيها راحلة[٣٤]، ليس من المصادفة أن يأتي هذا الحديث بعد حديث تضييع الأمانة في ترتيب البخاري للأحاديث، ولا يخفي ما في هذا الحديث من تحرير واضح لمبدأ وجوب البحث عن القدرات والكفايات البشرية، والتنبيه على أنه من الأمور الصعبة التي تحتاج إلى الجهد وإعمال الفكر، فالراحلة هي التي يختارها الرجل لمركبه، والتي تتحمل مشاق السفر وشدائده، فكذلك النَّاس قليل منهم من يصلح للمسؤولية والقيادة

وقال عليه الصلاة والسلام: يؤمُّ القومَ أقرؤُهمْ لكتاب اللَّه وإن كانوا في القراءة سواءً فأعلمهمْ بالسنَّة فإن كانوا في السنَّة سواءً فأقدمهم هجرَة فإن كانوا في الهجرة سواءً فأكبرُهم سنًّا، ولا يؤَم الرجل في سلطانِه ولا يُجلَس على تَكرمته إلا بإذنه[٣٥]، فأقرأ القوم إشارة إلى أصحاب القدرات الصوتية والعقلية، إذ كيف نعرف أقرأ القوم إن لم نهتم بالإجراءات الكشفية عنهم من إجراء الامتحانات وتحرير الشهادات بكل مصداقية وعدالة، ويقول ﷺ :أرحم أمتي بأمتي أبوبكر، وأشدهم في الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، ألا وإن لكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبوعبيدة بن الجراح[٣٦]، إنها قدرات متنوعة عند أصحاب رسول الله صلى الله على وسلم، وفي هذا الحديث إشارة إلى أهمية معرفة القيادة بالقاعدة، والرئيس بالمرؤوسين، حتي يسهل الاختيار ساعة الحاجة

([٣١]) الترمذي، محمد بن عيسى(١٩٨٦م) الجامع الصحيح، ط١، ج٤، دار الفكر بيروت، ص٤٥٩، وقال عنه، غريب لا نعرفه إلا من حديث صالح المري وفي حديثه غرائب ينفرد بها ولا يتابع عليها.

([٣٢]) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي(د.ت) فتح الباري، كتاب الرقاق،ج١١، المكتبة السلفية، ص٣٣٣.

([٣٣]) المرجع السابق، ص٣٣٤.

([٣٤]) المرجع السابق،، ص٣٣٣.

([٣٥]) مسلم بن الحجاج، الجامع الصحيح، باب من أحق بالإمامة،مرجع سابق، ص١٣٣.

([٣٦]) الترمذي، الجامع الصحيح، مرجع سابق، ص٦٢٣، وقال حسن غريب.

إلى التكليف بعمل معين، ويقول ﷺ: النَّاس معادن كمعادن الفضة والذهب، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا[٣٧].ففي هذا الحديث يظهر صلوات الله وسلامه عليه الفروق الفردية في قدرات النَّاس فمن المعادن الجيد والرديء ومنها الغالي والنفيس والنادر، ومنها الرخيص المتوفر وهكذا. قال العلامة المناوي في تعليقه على حديث قريب من هذا في الجامع الصغير: والحديث ورد على منهج التشبيه في التفاضل في الصفات الوهبية والكسبية، كالأخلاق الجبلية، والآداب الحاصلة بواسطة الأدلة، وشتان في القياس بين الذهب والفضة، والرصاص والنحاس، فبقدر ما بين ذلك من التفاوت تكون الصفة في الأشخاص، كأنه قال:الناس يتفاوتون في الصفات الذاتية والعرضية كما تتفاوت المعادن في ذواتها وأعراضها القائمة بها من العلل والأدناس[٣٨]، ومن مراعاته ﷺ للفروق الفردية في القدرات والميول توجيهه لبعض أصحابه حين يسأل عن أفضل الأعمال، فما كانت إجاباته موحدة للجميع فكان يجيب كل واحد بما يناسبه ويلائم حاله وزمانه ومكانه، ولكل ماورد في هذه النصوص العامة تطبيقات عملية في سنة رسول الله العملية، وفي سيرته مع أصحابه صلوات وسلامه عليه وهذا ما سيأتي الحديث عنه في الفقرة التالية.

التطبيقات العملية لاكتشاف القدرات في السنة النبوية

إن المتتبع لسيرة رسول الله صلى عليه وسلم مع أصحابه يرى صورة فريدة من العلاقة بينه وبينهم، فقد كان صلوات الله وسلامه عليه المثل الأعلي في الأخلاق وحسن التعامل، شهد له بذلك رب العزة جل وعلا، وقال في حقه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[٣٩]، وقال جل وعلا: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[٤٠] وقال تعالى:﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[٤١]، هذه الأخلاق العالية مع ما يطلعه ربه عليه من خبايا النفوس، وأحوال النَّاس جعلته ﷺ يعرف أصحابه وإمكاناتهم وقدراتهم في كل المجالات، ليضع كلا منهم في مكانه المناسب، خدمة للدين بكل ما تحمل هذه الكلمة من معني وتأسيسا للمنهج الذي يحترم سنن الله في الكون. وسنذكر فيما يلي نماذج من بعض مواقفه مع بعض الصحابة يظهر فيها هذا الأمر واضحا وجلياً.

اكتشاف القدرات القيادية:

القيادة في اللغة: تعني التقدم في الأمور قال الفيرزابادي: القَوْدُ نقيض السَّوْق، يقود الدابة من أمامها، ويسوقها من خلفها[٤٢]، والقيادة عند علماء الإدارة تعني: النشاط الذي يمارسه شخص للتأثير في الآخرين وجعلهم يتعاونون لتحقيق هدف يرغبون في تحقيقه[٤٣] فهناك قيادة سياسية وقيادة اجتماعية وعسكرية وعلمية وغيرها، وقد بدأ ﷺ في تكوين المجتمع الناشئ في المدينة في الوقت الذي كانت تحيط به دول تقدمت كثيرا في مختلف المجالات، فهناك المجتمع الفارسي واليوناني الذين

---

(٣٧) مسلم بن الحجاج الجامع الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، مرجع سابق، ص٤٢.

(٣٨) المناوي، محمد عبد الرؤوف(د.ت) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ج٦، دار المعرفة بيروت، ص٢٩٥.

(٣٩) سورة القلم، الآية ٤

(٤٠) سورة آل عمران، الآية ١٥٩.

(٤١) سورة التوبة، الآية ١٢٨.

(٤٢) الزبيدي، تاج العروس، مرجع سابق، ص٧٦.

(٤٣) تنمية المهارات القيادية للعاملين وعلاقتها بالاداء الوظيفي في مجلس الشوري السعودي، ناصر بن على الصامل، راسالة ماجستير في العلوم الإدارية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ص٢٢.

كانت لهم حضارة وأفكار واضحة المعالم، بدأ هذا المجتمع الرباني في التشكل آخذاً بالأسباب مؤمناً بالله متوكلاً عليه، فالإيمان بعد غيبي أساسي في كل عمليات المؤمنين الحياتية والحركية، ولكن الإيمان يدعو إلى احترام نواميس الكون، وسنن الطبيعة التي اجراها الله على قوانين معينة، ودعا إلى التعامل معها بهذا المنظار.

النموذج الأول: القيادة السياسية - أبوبكر الصديق رضي الله عنه نموذجا:

قال تعالى:﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[٤٤]، يقول جمهور المفسرين أن الصاحب المذكور هنا هو أبوبكر الصديق (رضي الله عنه)[٤٥]، لقد تميز الخليفة أبوبكر بميزات فريدة ففاز بمرتبتي الصحبة والصديقية، ذكر فضله رب العزة جل جلاله، ورسوله ﷺ، عرف فيه رسول الله صلى الله على وسلم صفات القائد الفذ فقدمه على الأمة بإشارات تبين أهليته لهذا الأمر، وكتب الصحاح بينت فضائله، وكتب التاريخ حافلة بأخباره، وأيام الإسلام شاهدة بفضله، إن من أميز صفات القيادة في الإسلام صفة الرحمة، وقد منحه رسول الرحمة هذا اللقب دون منازع حيث قال في في حقه: أرحم أمتي بأمتي أبوبكر[٤٦] ومما يبين أهمية خلق الرحمة عند القائد ما فعله عمر رضي الله عنه مع أحد ولاته، فقد كتب عمر رضي الله عنه لرجل من بني أسلم كتابا يستعمله به، فدخل الرجل على عمر وبعض أولاد عمر في حجر أبيهم يقبلهم. فقال الرجل: تفعل هذا يا أمير المؤمنين ؟ فو الله ما قبلت ولدا لي قط، فقال عمر: فأنت والله بالناس أقل رحمة، لا تعمل لي عملا، ورده عمر فلم يستعمله[٤٧]. والرحمة لا تعني الضعف ولا تعني التهاون إنها قدرة من القدرات الوجدانية التي يستقيم بها أمر الناس، ومع هذه الرحمة تحلي الخليفة أبوبكر بكل صفات القائد من الشجاعة والكرم والحزم وحسن التنظيم والمعرفة بالناس وطبائعهم وغيرها، وكما تقدم فإن رسول الله ﷺ عرف قدراته مبكرا، فجاء تقديمه له للقيادة بإشارات دون النص عليه.قال في شرح العقيدة الطحاوية:اختلف أهل السنة في خلافة الصديق (رضي الله عنه) هل كانت بالنص أم بالاختيار؟ فذهب الحسن البصري وجماعة من أهل الحديث إلى أنها ثبتت بالنص الخفي والإشارة، ومنهم من قال بالنص الجلي، وذهب جماعة من أهل الحديث والمعتزلة والأشعرية إلى أنها ثبتت بالاختيار[٤٨]، ثم ساق نقلا عن صاحب العقيدة الطحاوية نصوصا كثيرة من كتب الصحاح تبين أحقية أبي بكر بهذا الأمر، ولما كان المقام لا يسمح بالتفصيل في هذا الموضع فإننا نكتفي ببعض أحاديث رسول الله ﷺ يبين فيها معرفته بقدرات صاحبه، وفضله ومزيته، فقد جاء في صحيح مسلم عنه ﷺ: لو كنتُ متخذًا خليلًا لاتخذتُ أبا بكرٍ خليلًا. ولكنه أخي وصاحبي. وقد اتخذ اللهُ، عز وجل، صاحبكم خليلًا[٤٩]، وقال: إن أمنَّ النَّاس

([٤٤]) سورة التوبة، الآية ٤٠

([٤٥]) الطبري، محمد بن جرير(د.ت) جامع البيان، ج١١، دار هجر للطباعة، ص٤٦٤.

([٤٦]) الترمذي، الجامع الصحيح، مرجع سابق، ص٦٢٣ .

([٤٧]) علي الصلابي(د.ت) سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، دار المعرفة للطباعة، بيروت، ص٣١٨.

([٤٨]) على الطنطاوي(١٩٨٦م) أبوبكر الصديق، دار المنارة، جدة، ص١٦٨.

([٤٩]) مسلم بن الحجاج، الجامع الصحيح، كتاب الفضائل، مرجع سابق، ص١٠٨.

على في صحبته وماله أبوبكر، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبابكر خليلاً، ولكن أخوة الإسلام، لا تبقين في المسجد خوخة إلا خوخة أبي بكر[٥٠]، وعن جبير بن مطعم عن أبيه أن امرأة سألت رسول الله ﷺ شيئا فأمرها أن ترجع إليه، فقالت: يا رسول الله أرأيت إن جئت فلم أجدك ؟ – قال أبي كأنها تعني الموت – قال فإن لم تجديني فأتي أبابكر[٥١]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ في مرضه ادعي لي أبابكر أباك وأخاك، حتي أكتب كتابا فإني أخاف أن يتمني متمنٍّ ويقول قائل: أنا أولي، ويأبي الله والمؤمنون إلا أبابكر[٥٢].هذه الطائفة من الأحاديث الشريفة تبين بجلاء تقديم النبي ﷺ أبابكر الصديق للقيادة السياسية للمسلمين بعده، وهذا ما حدث بالفعل، وأكدت التجربة والواقع أن تقديم النبي له لهذا الأمر كان تقديما مبنيا على معرفة جامعة بقدراته وإمكاناته، فقد ظهرت هذه القدرات من ساعة وفاة رسول الله ﷺ التي كانت صدمة عظيمة على كل أصحابه، حتي عمر المعروف بالشدّة والقوة طاش عقله من هول المصيبة، وتكلم كلامَ مَنْ فقد التركيز في تلك اللحظة، فتروي كتب السيرة أنه رضي الله عنه قال في تلك اللحظات العصيبة: إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ توفي، وإن رسول الله ﷺ ما مات، لكن ذهب إلى ربه كما ذهب موسي بن عمران، فغاب عن قومه أربعين ليلة، ثم رجع إليهم بعد أن قيل مات، والله ليرجعن رسول الله ﷺ فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أنه مات[٥٣]

لقد كان النَّاس في تلك اللحظة في حالة ذهول، يحتاجون من يردهم إلى رشدهم، إلى الحي الذي لا يموت، إلى سنة الله في الخلق، إلى وجوب استمرارية الحياة والدعوة والدولة، وفاء لصاحب الدعوة، وكان يمكن أن يحدث ما يحدث لو لم يوجد من يفعل ذلك، فكان لها أبوبكر، ثبات كثبات الجبال الراسيات، وعقل رجيح ونطق فصيح، وقيادة في وقت الأزمات، جاء في صحيح البخاري: أن أبا بكر رضي الله عنه أقبل على فرس من مسكنه بالسنح، حتى نزل فدخل المسجد، فلم يكلم النَّاس حتى دخل على عائشة، فتيمم رسول الله ﷺ وهو مغشي بثوب حبرة، فكشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبله وبكى، ثم قال: بأبي أنت وأمي، والله لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التي كتبت عليك فقد متها. قال الزهري: حدثني أبو سلمة، عن عبد الله بن عباس: أن أبا بكر خرج وعمر بن الخطاب يكلم الناس، فقال: اجلس يا عمر، فأبى عمر أن يجلس، فأقبل النَّاس إليه وتركوا عمر، فقال أبو بكر: أما بعد، فمن كان منكم يعبد محمدا ﷺ فإن محمدا قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت. قال الله: وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل – إلى قوله – الشاكرين. وقال: والله لكأن النَّاس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر، فتلقاها منه النَّاس كلهم، فما أسمع بشرا من النَّاس إلا يتلوها. فأخبرني سعيد بن المسيب: أن عمر قال: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت، حتى ما تقلني رجلاي، وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها، علمت أن النبي ﷺ قد مات[٥٤].

موقفه من حرب الردة:

(٥٠) المرجع السابق، ص١٠٨.

(٥١) المرجع السابق،ج٧، ص١١٠.

(٥٢) المرجع السابق، ج٧، ص١١٠.

(٥٣) المباركفوري، الرحيق المختوم، وزارة الأوقاف قطر، ص٤٧٠.

(٥٤) البخاري، الجامع الصحيح، باب مرض النبي ووفاته، مرجع سابق، ص١٤.

بدأت بعض قبائل العرب التي لم يتغلغل في وجدانها الإيمان بالرجوع عما كانوا عليه من الدين ومبادئه، فبعضهم رفضه جملة وتابع الكذابين أمثال مسيلمة، وبعضهم ظل على الشهادة ولكنه امتنع عن بعض شعائر الدين كالزكاة، قال ابن كثير وهو يتحدث عن منع بعضهم الزكاة: وجعلت العرب تقدم المدينة يقرون بالصلاة ويمتنعون من أداء الزكاة، ومنهم من امتنع من دفعها إلى الصديق، ذُكر أن منهم من احتج بقوله تعالى:﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [٥٥]، قالوا: فلسنا ندفع زكاتنا إلا إلى من صلاته سكن لنا[٥٦]. وهنا تعددت الآراء فمن الصحابة من كان يرى أن يُتركوا وحالهم، وبدأوا يشيرون على الخليفة الصديق بذلك، ولكنه كان حازما وحاسما وحسَبَ للموقف حسابه، وأعطي القضية بعدها الحقيقي، فاتخذ قراره القوي بخوض الحرب ضدهم لحسم هذا التمرد العنيف الذي يهدد كيان الدولة الناشئة، ويفرط عقد النظام الذي بني على عدم التفريق بين الشعائر المقدسة إذ كلها من الله. جاء في صحيح البخاري: لما تُوفي النبيُّ ﷺ واستخلف أبو بكر، وكفرَ من كفر من العرب، قال عمر: يا أبا بكر، كيف تقاتل النَاسَ، وقد قال رسولُ الله ﷺ: أُمرتُ أن أقاتل النَّاس حتى يقولوا: لا إلهَ إلا الله، فمن قال: لا إلهَ إلا الله، عصم مني مالَه ونفسه إلا بحقِّه، وحسابُه على الله. قال أبو بكرٍ: والله لأقاتلنَّ من فرَّق بين الصلاة والزكاة، فإنَّ الزكاةَ حقُّ المال، واللهِ لو منعوني عَناقاً كانوا يُؤدونها إلى رسولِ الله ﷺ لقاتلتُهم على منعها. قال عمرُ: فواللهِ ما هو إلا أن رأيتُ أن قد شرح اللهُ صدر أبي بكرٍ للقتال، فعرفت أنه الحق[٥٧].

إن هذا الموقف يبين أكثر من غيره المؤهلات والقدرات القيادية الفذة التي كان الصديق يتحلي بها، فالقيادة في وقت الأزمات لا تتحمل التردد، ولا الخطأ في الحسابات، فقد جمع رضي الله عنه مع الحسم والحزم بعداً آخر هو البعد الفقهي الذي يضع الأمور في تكييفها المناسب، وهكذا ينبغي أن تكون القدرات القيادية، فالأمثل فيها أن يجمع القائد إلى شجاعته وخبرته وقوته علما يعرف به الخطأ من الصواب، ويفرق به بين المتشابهات.إن مواقف الصديق رضي الله عنه التي تبين قدراته القيادية التي اكتشفها النبي ﷺ مبكرا، فرشحه للقيادة مواقف كثيرة ومتنوعة، ولكن لما كان المقام لا يسمح باستقصاءها نقتصر على ما ذكرنا ففيه بيان لما نحن بصدده.

النموذج الثاني: القيادة العسكرية خالد بن الوليد نموذجا:

هو خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي[٥٨]، كان أحد أشراف قريش في الجاهلية وكان إليه القبة وأعنة الخيل في الجاهلية أما القبة فكانوا يضربونها يجمعون فيها ما يجهزون به الجيش وأما الأعنة فإنه كان يكون المقدم على خيول قريش في الحرب[٥٩].

خالد اسم يتلألأ في تاريخ القادة العسكريين، تميز رضي الله عنه بمقدرات قتالية فريدة، ولهذه القدرات التي تميز بها كانت تهابه الأعداء وتحسب له ألف حساب، منّ الله عليه بالنصر في كل معاركه التي خاضها وهي كثيرة، فقد كان

([٥٥]) سورة التوبة، الآية ١٠٣.

([٥٦]) ابن كثير، اسماعيل(د.ت) البداية والنهاية، ج١، بيت الأفكار الدولية، ص١٠١٠.

([٥٧]) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب استتابة المرتدين،مرجع سابق، ص١٥.

([٥٨]) ابن الأثير، علي بن محمد (د.ت) أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ص١٤٠.

([٥٩]) المرجع السابق، ص١٤٠.

يجيد فنون القتال، ويعرف وقت الكر والفر، وكيف يقسم الجيش، وكيف يستلم المبادرة على الأرض، كان خالد في أول أمره معارضاً كبيراً للدعوة الإسلامية، وخاض ضد المسلمين بعض المواقع المشهورة، ولما أراد الله به الإسلام جاء طائعا مختاراً محبا لله ولرسوله، يحكي عن قصة إسلامه في خبر طويل يذكر فيه صراعه النفسي وهو يحاور نفسه عن الاختيار الصحيح بين الأديان قال: فأنا على ذلك إذ دخل رسول الله ﷺ في عُمرة القَضية، وتغيبت فلم أشهد دخوله، وكان أخي الوليد بن الوليد قد دخل مع النبي في عمرة القضية، فطلبني فلم يجدني، فكتب إلى كتابا فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد فإني لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام... وقد سألني رسول الله فقال: أين خالد ؟ فقلت يأتي الله به، فقال: ما مثل خالد جهل الإسلام، ولو كان جعل حدَّه ونكايته مع المسلمين على المشركين لكان خيراً له ولقدَّمناه على غيره، فاستدرك يا أخي ما فاتك منه، فقد فاتتك مواطن صالحة، قال: فلما جاءني كتابه نشطت للخروج وزادني رغبة في الإسلام، وسرني مقالة رسول الله ﷺ[٦٠].

إن سؤال رسول الله ﷺ عن خالد يعطي مؤشرا واضحا على المكانة التي كانت تنتظره في الإسلام، وتبين معرفة رسول الله لقدرات خالد وإمكاناته العقلية والعسكرية، إن عبارات الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه عن نكاية خالد وحده تبين ما يركز عليه رسول الله، إنها القيادة الحربية التي كانت تميز خالد، والعسكرية ليست شجاعة فقط، إنها عمل علمي دقيق يخضع لمعايير علمية واجتماعية خصوصا في هذا الزمن الذي أصبحت فيه القوة العسكرية ضرورة من ضرورات البقاء، ويتحدث العسكريون وعلماء الاجتماع عن علم الاجتماع العسكري، ويعرفونه بأنه: ذلك الفرع من فروع علم الاجتماع الذي يعتمد على البحوث النظرية والأمبريقية في دراسة القوات المسلحة كتنظيم اجتماعي، والعلاقات الاجتماعية داخلها وعلاقتها بالمجتمع[٦١]، وكل هذا كان موجودا ولكن بشكل مختلف في زمن خالد رضي الله عنه، فالقيادة العسكرية لابد فيها من معرفة الجغرافيا والتضاريس، ولابد فيها من معرفة طبائع وأحوال وأفكار الأمم المعادية، ولابد فيها كذلك من معرفة نفسيات الجنود والمقاتلين، بالإضافة لما ينبغي أن يتمتع به القائد العسكري من الأخلاق الضرورية في هذا المجال. لقد كانت كلمات رسول الله ﷺ في حق خالد كفيلة بأن تأتي به سريعا جنديا في قوة الحق، إنها كلمات الصدق من منبع الصدق والرحمة، باشرت حلاوتها قلب خالد فاستجاب، وهكذا أصحاب النفوس الأبية، والقدرات العالية يذكرهم القول اللين، جاء خالد طائعا تائبا لرسول الله ﷺ وأعلن إسلامه.وما مضي يسير من الزمن حتي حدث الاستدعاء العسكري الجهادي من رسول الله ﷺ، ردا على اعتداء ملك بصري على رسول رسول الله ﷺ، وعلي قتل وسب المسلمين، فكان خالد جنديا ساعة تحرك الجيش، ثم قائدا بعد استشهاد القادة الثلاثة المباركين،فعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ نعي زيدا وجعفرا وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم فقال: أخذ الراية زيدٌ فأصيب، ثم أخذ جعفر فأصيب، ثم أخذ ابن رواحة فأصيب، وعيناه تذرفان، حتي أخذ الراية سيف من سيوف الله حتي فتح الله عليهم[٦٢]، إنها نبوة رسول الله وسياسته في أصحابه، سماه سيف الله وما ذلك إلا

([٦٠]) ابن عساكر، علي بن الحسن(د.ت) تاريخ مدينة دمشق، ج١٦، دار الفكر، بيروت، ص١٢٧ .

([٦١]) فؤاد الآغا(٢٠٠٨م) علم الاجتماع العسكري، دار اسامة للنشر والتوزيع، ص١٦.

([٦٢]) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المغازي، مرجع سابق، ص١٤٣.

لمعرفته ﷺ بما تميز به خالد، ثم تتكشف معرفة الرسول الكريم ﷺ بخالد القائد العسكري المحنك وبقدراته القتالية، فيصطحبه معه في فتح مكة ويأمره بالدخول من أعلي مكة من كَداء[٦٣]، وتتواصل مسيرته العسكرية قائداً مظفراً في حُنين وفي حروب الردَّة، وغيرها من المهمات الصغيرة، يقول العقاد معلقا على اكتشاف قدرات النبي عليه الصلاة والسلام لخالد:إن تقدير النبي عليه السلام خالد بن الوليد لم يكن تقدير المجاملة لمكانه أو لما يرجو من قومه الأقوياء بني مخزوم، فإنه عليه السلام لم يجامله في وصفه الذي طابقته حوادث الأيام، ولم يجامله حين قدم عليه في القيادة ثلاثة من السابقين في الإسلام، وترك اختياره بعدهم لاتفاق كلمة المسلمين،...إنما هو سيد السادة ومربي الرجال والأبطال، يقوم الأعمال بقيمتها، وينزل العظماء في منازلهم، ولا يمنعه أداء المجاملة أن يجامل بمقدار على حسب السوابق والأقدار[٦٤].

كان النصر يحالفه دائما في كل غزوة أرسله إليها النبي ﷺ وقد بلغت المعارك التي خاضها أكثر من خمسين معركة انتصر فيها جميعا، فذاع صيته في بلاد العرب، وما جاورها من الممالك، وأصبح اسم خالد بن الوليد علما للشجاعة والبطولة والإقدام[٦٥].

القدرات الذهنية والتعليمية زيد بن ثابت وعبد الله بن عباس نموذجا:

إن المجتمع الإسلامي في عهد رسول الله ﷺ، كان مجتمعا مثاليا، يرعاه ويضع ثوابته ويؤسس قيمه رسول الله ﷺ، فطبيعي أن توضع الأمور في نصابها، وأن يجد كل إنسان صادق مع رسول الله وضعه واحترامه ومكانته، ولقد كانت الرعاية النبوية للمجتمع رعاية كاملة تشمل الأطفال والنساء والشباب والشيوخ، لأن كل واحد منهم له مهمة يؤديها، فالإعداد الجيد للمجتمع يستوجب الاستفادة من كل القدرات والطاقات المتوفرة في كل عمليات الانتاج الاقتصادي والاجتماعي والفكري وغيرها.

زيد بن ثابت رضي الله عنه:

هو زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لوذان بن عمرو بن عبد بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي[٦٦] قدم رسول الله ﷺ المدينة وهو ابن إحدي عشرة سنة، فلهذا لم يشهد بدراً لصغره، قيل: ولا أحداً، وأول مشاهده الخندق، ثم شهد ما بعدها، وكان حافظاً لبيباً عالماً عاقلاً[٦٧]، ويحكي رضي الله عنه عن جزء من سيرة حياته المباركة وهو صغير فيقول: أُتي بي النبيَّ صلى الله عليه وآله مَقْدمِه المدينة فقيل: هذا من بني النجار، وقد قرأ سبع عشرة سورة، فقرأت عليه، فأعجبه ذلك فقال: تعلَّم كتاب يهود، فإني ما آمنهم على كتابي، ففعلت، فما مضي لي نصف شهر حتي حذقته، فكنت أكتب له إليهم، وإذا كتبوا له قرأت له[٦٨]، يعلق ابن كثير رحمه الله على هذه القدرات الذهنية الهائلة ويقول: وهذا ذكاء مفرط جداً[٦٩].

تتجلي الرعاية النبوية لقدرات الذكاء والفطنة، في توجيه النبي ﷺ مباشرة لزيد بالتوجه نحو حقل التعليم، وتخصيصا لتعلم كتاب اليهود، لغرض سام وجليل وهو تأمين مكاتبات الدولة، وتسهيل

---

(٦٣) المرجع السابق، ص١٤٣ .

(٦٤) العقاد، عباس محمود (د.ت)عبقرية خالد، سلسة كتاب الشعب، مصر، ص٥٢ .

(٦٥) فايد العمروسي(د.ت) خالد بن الوليد، دار الشروق، بيروت، ص٢١ .

(٦٦) ابن الأثير، أسد الغابة، مرجع سابق، ص٣٤٦ .

(٦٧) ابن كثير، البداية والنهاية، مرجع سابق، ص٨٥٦.

(٦٨) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي(١٤١٥هـ) الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض،ج٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ص٤٢.

(٦٩) ابن كثير، البداية والنهاية، مرجع سابق، ص٨٥٦.

اتصالها بالعالم الخارجي، وفتح الأفق الثقافي أمام الدعوة الإسلامية، لقد رأي ﷺ ملامح الذكاء في سرعة حفظه، وطلاقة لسانه وترتيبه، فوظف هذه القدرات فيما تحتاج له الأمة، وكان هذا بداية الرعاية لمشروع عالم كبير، أفاد الأمة فيما تخصص وتميز فيه، لقد كان رسول الله صلى عليه وسلم يمثل للأمة – بعد نبوته – المؤسسة الرسمية التي ترعي الموهوبين وأصحاب القدرات المتفردة، ويظهر جلياً ضرورة تكامل دور الأسرة وأولياء الأمور مع المؤسسات الرسمية في رعاية أصحاب القدرات الخاصة، فهذا منهج نبوي، فقد قدم أهل زيد ابنهم ومعه ملاحظاتهم على ما يتميز به، إن أمثال زيد بن ثابت هم الخامات البشرية التي لو وجدت الرعاية السليمة لتخرج في عالمنا الإسلامي العلماء الأفذاذ في كل المجالات والآن لنقف مع نتائج هذه الرعاية وكيف أثمرت عالماً فذاً يجله ويحترمه كبار الصحابة، ويحفظون له مكانة كبيرة في نفوسهم، لقد كان زيد من القلائل الذين جمعوا القرآن في عهد رسول الله ﷺ، فقد جاء في صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: جمع القرآن على عهد النبي ﷺ أربعة كلهم من الأنصار، أُبَي ومعاذ بن جبل وأبوزيد وزيد بن ثابت[٧٠]، ومما تميز فيه زيد على أصحاب رسول الله أنه كان عالماً متخصصاً في علم الفرائض، وهو من العلوم التي نبه رسول الله ﷺ على عظم شأنها، وأمر بتعلُّمِها وتعليمها، وقد جاءته الشهادة في هذا العلم من أكبر وأفضل وأبرك من أجاز معلما ألا وهو رسول الله ﷺ الذي قال: أرحم أمتي بأمتي أبوبكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، ألا وإن لكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبوعبيدة بن الجراح[٧١]، ومن ثمرات رعاية النبي ﷺ لزيد أنه أصبح من كتاب الوحي لرسول الله ﷺ، وهذه مهمة ووظيفة كبيرة، نتنبه من خلالها لوجوب رعاية الأذكياء وحسن توزيعهم في التخصصات النظرية والتطبيقية حسب الحاجة. فعن أبي إسحق قال: سمعت البراء رضي الله عنه يقول: لما نزلت لا يستوي القاعدون من المؤمنين دعا رسول الله زيداً فجاء بكتف فكتبها[٧٢]، ومن ثمرات هذه الرعاية لهذه الموهبة أن أسهم زيد رضي الله عنه في جمع القرآن في زمن الصديق رضي الله عنه، فكان أحد أعضاء اللجنة الكبار الذين تم اختيارهم، فقد روي أن الخليفة أبوبكر قال له: إنك شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه[٧٣]، ومن ثمرات الرعاية النبوية أيضا لزيد وقدراته الذهنية والعلمية أن أسهم زيد في كتابة المصاحف الأئمة التي كان يبعث بها الخليفة عثمان للأمصار[٧٤].

هكذا قضي زيد حياته علمية جهادية مباركة، حتي توفي في السنة الخامسة والأربعين للهجرة، تاركا وراءه خيرا كثيرا ودرسا بليغا يقف عنده التربيون وعلماء النفس ليستلهموا منه العبر والفوائد، ولما مات زيد رضي الله عنه قال عنه ابن عباس رضي الله عنه في نبرة حزينة: هكذا ذهاب العلم، لقد دفن اليوم علم كثير[٧٥].

عبد الله بن عباس رضي الله عنه:

---

(٧٠) الجامع الصحيح، البخاري، مرجع سابق، ص٣٧.

(٧١) ابن العربي، أبوبكر (د.ت) عارضة الاحوذي، ج١٣، دار الكتب العلمية بيروت، ص٢٠٣.

(٧٢) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الجهاد، مرجع سابق، ص٢٤.

(٧٣) ابن كثير، البداية والنهاية، مرجع سابق، ص٨٥٦.

(٧٤) الجامع الصحيح، البخاري، مرجع سابق.

(٧٥) العدوي، مصطفى(١٩٩٥م) الصحيح المسند من فضائل الصحابة، ط١، دار ابن عفان للنشر، السعودية، ص٤٠٣.

نشأ ابن عباس رضي الله عنه قريبا من بيت النبوة، بحكم قرابته من رسول الله ﷺ، وقرابته من أم المؤمنين خالته ميمونة رضي الله عنها، وابن عباس الذي نقدمه نموذجا ثانيا على التميز في القدرات الذهنية والتعليمية ورعايتها ونتيجة هذه الرعاية يمثل أيضا درساً بليغاً في كل تفاصيل حياته الكريمة، فمنذ صغره بدت عليه علامات الفطنة والذكاء، ومن رعاية الله وتوفيقه له أن كان قريباً من رسول الله ﷺ، الذي كان يراقب تصرفاته وهو صغير فيكتشف أن ابن عباس فتي غير عادي. فيحكي عن نفسه رضي الله عنه ويقول: دخل النبي ﷺ الخلاء فوضعت له وضوءاً، قال: من وضع هذا ؟ فأُخْبِر، فقال: اللهم فقهه في الدين[٧٦] وعنه رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من آخر الليل، فصليت خلفه فأخذ بيدي، فجرَّرني فجعلني حذاءه، فلما أقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على صلاته خنست، فصلي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلما انصرف قال لي: ما شأني أجعلك حذائي فتخنس ؟ فقلت يا رسول الله أوينبغي لأحدٍ أن يصلي حذاءك وأنت رسول الله الذي أعطاك الله ؟ قال: فأعجبته، فدعا الله لي أن يزيدني علما وفهما[٧٧].

تكررت روايات دعاء النبي ﷺ لابن عباس بالعلم والفقه في الدين، مع تكرر مواقف التميز والإبداع منه رضي الله عنه، ففي الحديث الأول ربط ابن عباس بين دخول الخلاء والحاجة للوضوء، فجهز لرسول الله ﷺ وضوءا، وهذا تصرف من غلام صغير ما كان ليفعل ذلك لولا أنه يتمتع بقدرات عقلية وذهنية عالية، وفي الحديث الثاني يخاطب رسول الله بكلام لا يصدر إلا من الكبار الذين يعرفون قدره ويعظمون شأنه ﷺ، ومعرفة قدر رسول الله ﷺ من المهمات في الدين، لأن الله أمر بها توقيرا وتعزيرا وتبجيلا وقال في ذلك جل شأنه:﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٩ ﴾[٧٨]، فتصرف ابن عباس وإن لم يرضه رسول الله ﷺ، إلا أنه استحسن قوله، وأعجبته فصاحته واستحضاره لهذه المعاني، فدعا له.

فهذه قدرات أيضا تحتاج للرعاية، وفي دعاء رسول الله ﷺ له تنبيه لذلك، ودعاؤه ﷺ مستجاب، فلذلك من يتتبع حياة ابن عباس يجد الاهتمام البالغ من الصحابة به سيرا على توجيه الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه، فعن ابن عباس قال كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وجد في نفسه فقال: لِم تُدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله ؟ فقال عمر: إنه من حيث علمتم، فدعا ذات ليلة فأدخله معهم فما رُئيت أنه دعاني يومئذٍ إلا ليريهم قال: ما تقولون في قول الله تعالى: إذا جاء نصر الله والفتح ؟ قال بعضهم: أمرنا نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً، فقال لي: أكذاك تقول يا ابن عباس ؟ فقلت: لا، قال: فما تقول ؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له قال: إذا جاء نصر الله والفتح وذلك علامة أجلك فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا، فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول[٧٩] .

([٧٦]) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الوضوء، مرجع سابق، ص٤١.

([٧٧])الساعاتي، أحمد عبد الرحمن(د.ت) الفتح الرباني بترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل،ج٢٢، دار التراث العربي، ص٢٩٣، وقال فيه : أورده الهيثمي في مجمع الزوائد، وقال رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، ورواه الحاكم في المستدرك وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة، وأقره الذهبي

([٧٨]) سورة الفتح، الآية ٨-٩.

([٧٩]) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب التفسير، مرجع سابق، ص١٧٩.

لقد علَّم رسول الله صلي الله وسلم أصحابه أن يأخذوا الأمور بكل جد وحزم، وألا يكون عندهم أي نوع من التواكل والانهزام، لقد فهموا جيدا أن الله خلق هذه الدنيا على سنن كونية لا بد من طلبها والاجتهاد فيها، مع التوكل عليه والعلم أن الأمر كله عند مسبب الأسباب، ولذلك تري مثل ابن عباس مع يقينه بدعاء الرسول ﷺ له يبذل جهده في تحصيل العلم، ويتعرض في سبيل ذلك للمشقة والعنت، وتلك دائما سمات الأذكياء وأصحاب القدرات الفريدة، تكون لهم همم عالية ونفوس أبية وأهداف جليلة، يتحدون الصعاب، يسعون دائما للتميز ليس من أجل الصيت والسمعة والجاه، إنما يشعرون بأن لهم رسالة وواجبا لا بد من القيام به على الوجه الذي يرضي عنهم ربهم، يقول ابن عباس: لما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قلت لرجل من الأنصار: يا فلان هلم لنسأل أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإنهم إليوم كثير، فقال: واعجبا لك يا ابن عباس، أتري النَّاس يحتاجون إليك وفي النَّاس من اصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم من تري ؟ فترك ذلك وأقبلت على المسألة، فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتيه وهو قائل، فأتوسد ردائي على بابه، فتسفي الريح على وجهي التراب، فيخرج فيراني، فيقول: يابن عم رسول الله ما جاء بك ؟ ألا أرسلت إلى فآتيك ؟ فأقول: أنا أحق أن آتيك، فأسأله عن الحديث، قال: فبقي الرجل حتي رآني وقد اجتمع النَّاس عليَّ، فقال: كان هذا الفتي أعقل مني...

صفات كثيرة وأخلاق فريدة في هذه القصة، فتري فيها التواضع، والصبر على التعلم، والثقة بالنفس، فبينما يقلل هذا الأنصاري من شأنه وشان صاحبه إذ يقول له: أتري النَّاس يحتاجون إليك وفي النَّاس من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم من تري ؟ يتقدم ابن عباس غير آبه بهذا الكلام وينظر أمامه، ويتقدم خطوة خطوة لتتحقق فيه دعوة رسول الله ﷺ.

لقد أفاد ابن عباس رضي الله عنه الأمة لمَّا قام بالإحسان فيما أقامه الله فيه، فيروي أن معاوية خرج حاجاً وخرج معه ابن عباس، فكان لمعاوية موكب ولابن عباس موكب، ممن يسأل عن الفقه[٨٠].

ومن المواقف المهمة والجليلة التي تظهر قدرات ابن عباس الذهنية والتعليمية، موقفه مع الخوارج الذين قاتلوا علياً رضي الله عنه، فقد كان موقفاً صعبا تعرضت فيه كلمة الأمة للخطر التمزق والاحتراب، والأدهي والأمر أنهم كانوا يستندون إلى القرآن الكريم، وينطلقون في فكرتهم منه، والقرآن حمَّال ذو وجوه، لا يجيد الخوض في معانيه إلا من أوتي فهما دقيقا يتوصل به إلى أسرار الكتاب ودقائق معانيه، كيف لا وهو القائل عن نفسه رداً على من شتمه وأساء إليه: إنك لتشتمني وفيَّ ثلاث خصال، إني لآتي على الآية من كتاب الله عز وجل فلوددت أن جميع النَّاس يعلمون ما أعلم منها، وإني لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يعدل في حكمه فأفرح به ولعلي لا أقاضي إليه أبداً، وإني لأسمع بالغيث قد أصاب البلد من بلاد المسلمين فأفرح وما لي به من سائمة[٨١].

ففي قصة الخوارج يحكي ابن عباس عن نفسه فيقول: لما اعتزلت حروراء وكانوا في دار على حدتهم قلت لعلي: يا أمير أبرد لي بالصلاة لعلي آتي هؤلاء القوم فأكلمهم، قال فإني اتخوفهم عليك، قلت: كلا إن شاء الله قال: فلبست أحسن ما أقدر عليه من هذه اليمانية، ثم دخلت عليهم وهم نائمون في نحر الظهيرة، فدخلت على قوم لم أر قوما قط

(٨٠) العدوي، الصحيح المسند من فضائل الصحابة، مرجع سابق، ص٤٢٩.

(٨١) المرجع السابق، ص٤٣٠.

أشد اجتهادا منهم، أيديهم كأنها تفن الإبل، ووجوههم معلبة من آثار السجود، قال: فدخلت فقالوا: مرحباً بك يا ابن عباس، ما جاء بك ؟ قال: جئت أحدثكم عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، نزل الوحي وهم أعلم بتأويله فقال بعضهم: لا تحدثوه، وقال بعضهم لتحدثنه، قال: قلت أخبروني ما تنقمون على ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وختنه وأول من آمن به ؟ وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معه ؟ قالوا ننقم عليه ثلاثاً، قلت: ما هنَّ ؟ قالوا: أولهن أنه حكَّم الرجال في دين الله وقد قال الله:﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ ﴿٥٧﴾ ﴾ [٨٢]، قال: قلت: وماذا ؟ قالوا: قاتل ولم يسب ولم يغنم، لئن كانوا كفارا لقد حلت له أموالهم، ولئن كانوا مؤمنين لقد حرمت عليه دماؤهم، قال: قلت: وماذا ؟ قالوا: ومحا نفسه من أمير المؤمنين فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين، قال: قلت: أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله المحكم وحدثتكم من سنة نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم ما لا تنكرون أترجعون ؟ قالوا نعم، قال: قلت: أما قولكم:حكَّم الرجال في دين الله فإنه يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ وَمَن ﴿٩٥﴾ ﴾ إلى قوله: ﴿ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴿٩٥﴾ ﴾ [٨٣]، وقال في المرأة وزوجها:﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ ﴿٣٥﴾ ﴾ [٨٤]، أنشدكم الله أحكم الرجال في حقن دمائهم وأنفسهم وصلاح ذات بينهم أحق أم في أرنب ثمنها ربع درهم ؟ قالوا اللهم في حقن دمائهم وصلاح ذات بينهم، قال: خرجت من هذه ؟ قالوا: اللهم نعم، وأما قولكم إنه قاتل ولم يسب ولم يغنم أتسبون أمكم أم تستحلون منها ما تستحلون من غيرها فقد كفرتم، وإن زعمتم انها ليست بأمكم فقد كفرتم وخرجتم من الإسلام إن الله عز وجل يقول:﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ ﴿٦﴾ ﴾[٨٥]، فأنتم ترددون بين ضلالتين فاختاروا أيهما شئتم، أخرجت من هذه ؟ قالوا: اللهم نعم، قال: وأما قولكم أنه محا نفسه من أمير المؤمنين فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعا قريشا يوم الحديبية على أن يكتب بينه وبينهم كتابا فقال: اكتب هذا ما قاضي عليه محمد رسول الله، فقالوا: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال: والله إني لرسول الله وإن كذبتموني، اكتب يا على محمد بن عبد الله، فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أفضل من علي، أخرجت من هذه ؟ قالوا اللهم نعم، فرجع منهم عشرون ألفاً، وبقي منهم أربعة آلاف، فقتلوا [٨٦].

هذه هي ثمرة الرعاية لمثل هذه القدرات الذهنية العالية، علماء ربانيون تجري الحكمة على أفواههم، ويجمع الله بهم شتات الأمة، إننا مدعوون لإعادة النظر في كيفية إعداد العلماء الربانيين، والبحث في الخامات البشرية ذات القدرات الذهنية العالية، لأن الاجتهاد وفهم أصول التشريع والاستنباط مسألة تحتاج إلى الأذكياء الصلحاء.

المبحث الثالث: وسائل اكتشاف القدرات وتنمية المهارات في السنة النبوية:

يرتبط هذا المبحث بالمبحث السابق ارتباطا وواضحا ووثيقا، إذ المهارة هي الحذق والاتقان فالشخص المتمكن في قدرات معينة يُعد ماهراً فيها، فالنموذج الأول أبوبكر الصديق يعد ماهرا في القيادة السياسية وفق المعطيات التي ظهرت

([٨٢]) سورة الأنعام، الآية ٥٧.

([٨٣]) سورة المائدة، الآية٩٥.

([٨٤]) سورة النساء، الآية ٣٥.

([٨٥]) سورة الأحزاب، الآية٦

([٨٦]) العدوي، الصحيح المسند من فضائل الصحابة، مرجع سابق، ص٤٢٧ –٤٢٨.

في شخصه، وخالد بن الوليد ماهرا في القيادة العسكرية، وزيد بن ثابت وابن عباس ماهران في القدرات الذهنية والتعليمية، وغيرهم من أصحاب رسول الله ﷺ كثيرون لهم قدرات عالية في مجالات مختلفة، وتطورت هذه القدرات حتى أصبحت مهارات مميزة، ولكن طبيعة البحث تقتضي أن نقتصر على نماذج محددة.

ومما سبق فإن المتتبع لسيرة رسول الله ﷺ يرى أن هناك وسائل عديدة اتبعها الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه في اكتشاف قدرات أصحابه، ومن ثم العمل على تطوير هذه القدرات. لقد أيَّد الله رسوله ﷺ بالوحي، وبالمعجزات، وبكثير مما ليس في مقدور البشر العاديين، وخصه الله تعالى بالأخلاق العظيمة وقال في ذلك: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[٨٧]، فقد عاش الصحابة مع رسول الله ﷺ وتربوا على يديه بعد أن صدقوه وآمنوا به وأحبوه، فكان لهم بمنزلة الوالد والمعلم فأعطوه ظاهرهم وباطنهم، ونستطيع القول إن أخلاق رسول الله ﷺ وصفاته الحميدة هي التي جعلت أصحابه يلتفون حوله قال تعالى ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[٨٨]، فقد لان لهم وقرب منهم، ومنحهم الثقة في أنفسهم، فمنحوه أنفسهم كلها ومن وسائل السياسة النبوية في اكتشاف القدرات دقة الملاحظة ومراقبة تصرفات الصغار، فقد كان ﷺ يهتم بأصحابه ومتابعة أخبارهم، وتقلبات أحوالهم، فمن ملازمة أبي بكر له عرف النبي ﷺ قدراته القيادية، فرشحه بالإشارة للخلافة والقيادة السياسية، ومن ملاحظته لتصرفات ابن عباس وزيد بن ثابت وهما صغيران اكتشف فطنتهما وقدراتهما الذهنية، ومن وسائل اكتشاف القدرات عند رسول الله ﷺ طرح الأسئلة وتحريك الأذهان فعَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:إِنَّ مِنْ الشَّجَرِ شَجَرَةً لا يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ؟ فَوَقَعَ النَّاس فِي شَجَرِ الْبَوَادِي قَالَ عَبْدُ اللَّه: وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَاسْتَحْيَيْتُ، ثُمَّ قَالُوا: حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ: هِيَ النَّخْلَةُ[٨٩]

السياسة النبوية في تنمية المهارات:

يقول الله تعالى مخاطبا المؤمنين، ومذكرهم بفضله عليهم برسول الله ﷺ:﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾[٩٠]، وقال عز وجل:﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[٩١]، إن حرص رسول الله ﷺ على أمته ورحمته بها يدلان على أنه حريص على إيصال الخير لها، وترقيتها في مقاماته في الدنيا والآخرة، وهذا بحد ذاته مؤشر واضح على اهتمامه ﷺ بتطوير المهارات الفردية والجماعية، لتبلغ الأمة مبلغ الرشد والشهود الحضاري على باقي الأمم. وهذا أمر واضح في كثير من نصوص القرآن والسنة، ومن أبرز ملامحه.

أولاً: الإيمان بالله وأسمائه وصفاته والإخلاص له:

الإيمان بالله هو الذي يعطي للحياة قيمتها ومعناها، وهو الذي يجعل الأعمال هادفة وموجهة، ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟

(٨٧) سورة القلم، الآية ٤

(٨٨) سورة آل عمران، الآية ١٥٩

(٨٩) البخاري، الجامع الصحيح، مرجع سابق، ص٢٣.

(٩٠) سورة الأحزاب، الآية ٤٣.

(٩١) سورة آل عمران، الآية ١٢٨.

يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[٩٢] فالإيمان مفجر للقدرات مطور للمهارات، فبه يستمد الإنسان القدرة من القادر والحكمة من الحكيم والعلم من العليم وهكذا، وفي هذا المعني يقول الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه: إن لله تسعة وتسعين اسما، مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة[٩٣]، قال ابن حجر بعد أن تكلم بتوسع عن هذا الحديث: وللإحصاء معان أخري، منها الإحصاء الفقهي، وهو العلم بمعانيها من اللغة، وتنزيهها على الوجوه التي تحملها الشريعة، ومنها الإحصاء النظري وهو أن يعلم معني كل اسم، بالنظر في الصيغة، ويستدل عليه بأثره الساري في الوجود، فلا تمر على موجود إلا ويظهر لك فيه معني من معاني الأسماء، وتعرف خواص بعضها وموقع القيد ومقتضي كل اسم، قال: وهذا أرفع مراتب الإحصاء، قال: وتمام ذلك أن يتوجه إلى الله تعالى من العمل الظاهر والباطن بما يقتضيه كل اسم من الأسماء، فيعبد الله بما يستحقه من الصفات المقدسة التي وجبت لذاته[٩٤]، فحضور العبد بقلبه مع الأسماء الإلهية يعطيه قوة متجددة، ويسلم من العجز ومن وساوس شياطين الإنس والجن، ويتوكل على الله ويفعل الأسباب ويجتهد فيها ويعلم أن الكون يجري بقدرة الله على سنن كونية قدرها الله وبثها في هذا الوجود، ولذلك حرص رسول الله ﷺ على غرس الإيمان في قلوب أصحابه، فبه النجاة في الآخرة، وبه الصلاح في الدنيا، بل دعا أن يكون المؤمن قويا فاعلا، فقد جاء عنه ﷺ: المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز. وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا. ولكن قل: قدر الله. وما شاء فعل. فإن لو تفتح عمل الشيطان[٩٥]، فالإنسان المؤمن مدعو إلى القوة، وترك العجز، واستنهاض الهمة والبحث عن قدراته وإمكاناته، وتوظيفها لصالح الأمة والدعوة. وهذا هو رسول الله صصلي اله عليه وسلم يدعو ابن عباس وهو غلام صغير للإستعانة بالله والتوكل عليه، فيقول ابن عباس: كنت خلف رسول الله صلى الله على وسلم يوماً فقال: يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف[٩٦].

والمؤمن مطالب بالإخلاص في عمله قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾[٩٧]، إن الإنسان حينما يتحلي بهذا السلوك تنبعث طاقاته الداخلية بفاعلية عالية، لأنه لا ينتظر ثوابا من أحد غير الله، ولا يخاف من أحد سوي الله، ولا يعني هذا أنه يحرم نفسه من أجر الدنيا وثناء النَّاس لأنه لا يتعارض مع الإخلاص إن لم يسع إليه ويجعله من المرادات، قال الشاطبي رحمه لله: إنا نعلم أن الشارع شرع الصلاة وغيرها من العبادات لا لنحمد عليها ولا لننال بها في الدنيا شرفاً وعزا أو شيئا من مطامعها، فإن هذا ضد ما وضعت له

([٩٢]) سورة النحل الآية ٩٧

([٩٣]) مسلم بن الحجاج، الجامع الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، مرجع سابق، ص٦٣.

([٩٤]) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، مرجع سابق، ص٢٢٧.

([٩٥]) مسلم بن الحجاج، الجامع الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، مرجع سابق، ص٥٦.

([٩٦]) ابن العربي، ابوبكر(د.ت) عارضة الاحوذي،ج٩، دار الكتب العلمية، بيروت، ص٣٢١.

([٩٧]) سورة البينة، الآية ٥

العبادات، بل هي خالصة لله رب العالمين، ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ ﴿٣﴾ ﴾[٩٨]، وهكذا شرعت أعمال الكفاية لا لينال بها عز السلطان ونخوة الولاية وشرف الأمر والنهي، وإن كان قد يحصل ذلك بالتبع، فإن عز المتقي لله معلوم ثابت شرعاً حيث يأتي تبعا للعمل المكلف به، وهكذا القيام بمصالح الولاة من حيث لا يقدح في عدالتهم حسبما حدَّه الشارع غير منكر ولا ممنوع، بل هو مطلوب متأكد، فكما يجب على الوالي القيام بمصالح العامة، فعلي العامة القيام بوظائفه من بيوت أموالهم إن احتاج إلى ذلك، وقد قال تعالى:﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾[٩٩] وقال:﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾[١٠٠] إلى غير ذلك مما يدل على أن قيام المكلف بحقوق الله سبب لإنجاز ما عند الله من الرزق[١٠١]، ويدخل في هذا أبواب كثيرة لا مجال لبسطها هنا .

ثانياً: الدعاء:

الدعاء من الأمور المهمة التي أمر الله بها عباده في كتابه الكريم فقال﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[١٠٢]، وهو سبب في حصول الخيرات ودفع المكروهات، وللدعاء أثر كبير في حياة المسلم ينبغي ألا يغفل عنه، والدعاء قبل ذلك عبادة عظيمة يتجلي فيها معني الخضوع لجلال الله والتذلل بين يديه والتحقق بعبوديته، لذا كان صلوات الله وسلامه عليه يكثر من الدعاء ويعلم أصحابه أنواعا كثيرة من الدعوات في مختلف الأحوال والظروف، وكان يدعو لهم ويبارك لهم أشياءهم، ويكفي أن نأخذ دعاءه لابن عباس حينما رأي عليه علامات الذكاء والفطنة، فباركه ودعا له فكان من مستقبله ما كان، إن حياتنا وحياة أولادنا ومستقبلهم تحتاج للدعاء الخالص، ،،والله جعل الطلب سببا من الأسباب، فإذا أراد أن ينجز للعبد ما سبق له عنده فتح له باب الطلب، فإذا حصل له الطلب حصل ذلك الذي قسم في الأزل إظهاراً للحكمة، فيكون الدعاء من جملة الأسباب العادية المشروعة، كالحرث والدواء والتزوج للولد علاوة على ما فيه من الافتقار وإبداء الفاقة، وليس الدعاء طلبا لحصول ما لم يكن، لذا متي ما أطلق الله لسان العبد بالدعاء فهو يريد أن يعطيه وعلي العبد ألا يستعجل.[١٠٣]

ثالثاً: التحفيز والتشجيع:

من وسائل تنمية المهارات في السنة النبوية، التحفيز والتشجيع، والتحفيز هو دفع النَّاس نحو عمل معين بمقابل ما، وهذا أمر غريزي في النفس الإنسانية، فإنها تنشط إذا وجدت المعين، وتنهض إذا وجدت من يحثها ويعدها بحسن العاقبة والجزاء الحسن، ولقد ظهر هذا الأسلوب في سياسة النبي ﷺ لأصحابه، فأحيانا يحفزهم بالوعد بالجنة ورضا الله، وأحيانا بالعطاء المادي المباشر، وأحيانا يحفزهم معنويا بالثناء الحسن والصفات الجميلة فمن ذلك ما جاء في قوله تعالى:﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ

([٩٨]) سورة الزمر، الآية ٣.

([٩٩]) سورة طه، الآية ١٣٢.

([١٠٠]) سورة الطلاق، الآية ١٠٠

([١٠١])الشاطبي، ابراهيم بن موسى(١٩٩٠م) الموافقات، ط١، ج٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ص١٣٩.

([١٠٢]) سورة غافر، الآية ٦٠.

([١٠٣]) عبد الكريم تتان، عون المريد شرح جوهرة التوحيد،مرجع سابق، ص٩٥٤ .

وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾[104]، فأصحاب القدرات العالية في الإنفاق وكظم الغيظ والإحسان حينما يسمعون هذا النداء الإلهي سيسارعون إلى المزيد والمزيد من مثل هذه الأعمال، ومثل هذا في كتاب الله تعالى كثير ومتنوع، إن خطاب القرآن الكريم في موضوع العلم والعمل جاء في الغالب عاما ليشمل مهارات عديدة في عبارات موجزة، وغالبا ما يجيء على قاعدة حذف المتعلق، كما في قوله تعالى:﴿ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾[105] وكما في قوله: ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ ﴿١٠٥﴾ ﴾[106]، يقول الدكتور يوسف العالم: يعني اعملوا لدنياكم وآخرتكم، ولأنفسكم وأمتكم، وحذف متعلق العمل يدل على العموم، وأن خيري الدنيا والآخرة منوطان بالعمل[107]، ويشجع النبي صلى الله على وسلم كل أفراد المجتمع للقيام بمهامهم على الوجه الأكمل، فكل فرد له أهميته وله واجبه ورسالته التي يُسأل عنها، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول: كلكم راع ومسؤول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل في أهله راع وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية هي مسؤولة عن رعيتها، والخادم في مال سيده راع وهو مسؤول عن رعيته[108]، ويحث النبي ﷺ أصحاب الأعمال اليدوية على أعمالهم ويحفزهم بالإخبار أن طعامهم خير طعام فقال: ما أكل أحد طعاما قط خيرا من يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داوود كان يأكل من عمل يده[109]، كما جاء التشجيع والتحفيز للعلم والتعلم في سنة النبي ﷺ بصورة مستفيضة وفي ذلك دلالة واضحة وكافية أن السنة النبوية اهتمت برفع القدرات وتنمية المهارات حتي يصبح المجتمع مجتمعا منتجا محسنا. عَنْ أَبِي مُوسى، عَن النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: " مَثَل مَا بَعَثَنِي اللَّه بِه مِن الْهُدَى وَالْعِلم، كمَثَل الْغَيْث الْكَثِير أَصَاب أَرْضًا فَكَان منْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَت الْمَاء، فَأَنبَتت الْكَلَأَ والْعُشْب الْكَثِير، وَكانت منها أَجَادب أَمسكتِ الماء، فنفع اللَّه بِها النَّاس فَشربُوا وسقوا وزَرعُوا، وَأَصَابَتْ منها طَائفَةً أُخرَى إِنَّمَا هِي قيعانٌ لَا تُمسكُ ماءً ولا تنْبتُ كلَأً، فَذَلكَ مَثَل مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمثل من لَم يرْفَع بِذلكَ رأْسًا ولَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِه [110]، إن هذا المثل يحفز النَّاس بشدة ليتسارعوا ويتسابقوا نحو تحصيل العلم والوصول إلى مرحلة الماهر به، وغير هذا في سنته عليه الصلاة والسلام كثير فيه الحث على تنمية المهارات وتطوير القدرات.

ومن صور التحفيز ما فعله رسول الله ﷺ يوم حنين، فقد أعطي وأنفق على بعض النَّاس إنفاقا واسعا، ليؤلفهم ويقربهم نحوه ونحو الأمة الطاهرة، وحينما وجد الأنصار في أنفسهم لأنهم لم ينالوا شيئا من هذا العطاء، جمعهم وعالج نفوسهم، ووصفهم بأجمل الأوصاف، وسمح لزعيمهم سعد بن عبادة بالتعبير عن رأيه بكل حرية دون حجر ولا حرج، وهذا بحد ذاته يعتبر مؤشرا من زاوية أخري لتطوير مهارة القيادة والمحاروة.

رابعاً:تبادل الخبرات والمعلومات:

في أي مجتمع من المجتمعات تتفاوت المعلومات والخبرات، فالكبار الذين عركتهم التجربة ليسوا

([104]) سورة آل عمران، الآية ١٣٣-١٣٤.

([105]) سورة الزمر، الآية ٩.

([106]) سورة التوبة، الآية ١٠٥.

([107]) العالم، المقاصد العامة للشريعة الإسلاميَّة، مرجع سابق، ص٤٩٢.

([108]) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الاستقراض، مرجع سابق، ص١٢٠.

([109]) المرجع السابق، كتاب البيوع، ص٥٧.

([110]) المرجع السابق كتاب العلم، ص٢٧.

كصغار السن، والمتعلمون ليسوا كغيرهم، ولقد أسس رسول الله ﷺ منهجا فريداً في تبادل الخبرات والمعلومات، حيث كان يسمح للصغار بمجالسة الكبار لنقل التجربة واكتساب المهارات في صورة متقدمة، كما كان يثير الأسئلة على أصحابه ويستدعي أفكارهم في كثير من المواقف. فهذا عمر بن الخطاب يصطحب ولده عبد الله لمجلس رسول الله ﷺ وفيه كبار الصحابة، فعن ابن عمر قال:كنا عِندَ رسولِ اللهِ ﷺ، فقال: أخبِروني بشجرةٍ تُشبِهُ، أو: كالرجلِ المسلمِ، لا يَتحاتُّ ورقُها، ولا ولا ولا، تؤتي أُكُلَّها كلَّ حينٍ). قال ابنُ عُمَرَ: فوقَع في نفسي أنها النخلةُ، ورأيتُ أبا بكرٍ وعُمَرَ لا يتكَلَّمانِ، فكَرِهتُ أن أتكَلَّمَ، فلما لم يقولوا شيئًا، قال رسولُ اللهِ ﷺ: هي النخلة. فلما قُمْنا قلتُ لعُمَرَ: يا أبَتاه، واللهِ لقد وقَع في نفسي أنها النخلةُ، فقال: ما منَعك أن تَكَلَّمَ ؟ قال: لم أرَكم تَكَلَّمونَ، فكَرِهتُ أن أتكَلَّمَ أو أقولَ شيئًا، قال عُمَرُ: لَأن تَكونَ قلتَها، أحَبُّ إلي من كذا وكذا[١١١]. ففي هذا الحديث نري مخالطة الصغار للكبار أصحاب التجربة، ونري الأسلوب النبوي الحكيم في استدعاء الأفكار، وعن سهل بن سعد رضي الله عنه:أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ أُتِيَ بشرابٍ، وعن يمينِهِ غلامٌ، وعن يسارِهِ أشياخٌ، فقال للغلامِ: أتأذنُ لي أن أُعْطِيَ هؤلاءِ ؟ فقال الغلامُ: لا واللهِ، لا أُوثِرُ بنصيبي منكَ أحدًا، فتَلَّهُ في يدِهِ[١١٢]، وفي مخالطة النبي ﷺ للصغار ومراقبتهم أحاديث كثيرة يستفاد منها أهمية تبادل الخبرات بين الصغار والكبار، وبين الكبار أنفسهم، إن مجتمعنا في كافة مناحي حياته في حاجة ماسَّة إلى الهدي النبوي الكريم، فإنه الخير العميم والبركة الوافرة.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على رسول الله وعلي آله وصحبه ومن والاه، فقد تناول هذا البحث موضوع السياسة النبوية في اكتشاف القدرات وتنمية المهارات، من أهم النتائج والتي توصل إليها ما يلي:

النتائج:

- يلتقي معني السياسة في هذا البحث مع المعني المعروف للتربية إذ كل منهما يعني بتنمية الإنسان .
- جاء منهج النبي ﷺ وسياسته في اكتشاف القدرات على مستووين، مستوي نظري، وآخر تطبيقي عملي.
- أظهر البحث اهتمام النبي ﷺ الشديد، بمعرفة قدرات أصحابه، وتنمية مهاراتهم، ووضع كل منهم في ما يناسبه.
- أبوبكر الصديق رضي الله عنه يمثل نموذجا فريداً في امتلاك قدرات القيادة السياسية.
- خالد بن الوليد رضي الله عنه يمثل نموذجا فريداً في امتلاك قدرات القيادة العسكرية.
- زيد بن ثابت وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما يمثلان نموذجاً فريداً في امتلاك القدرات الذهنية والتعليمية.
- من وسائل السياسة النبوية في اكتشاف القدرات دقة الملاحظة، والحبة بالأخلاق الحسنة، والأسئلة وتحريك الأذهان وغيرها.
- من وسائل السياسة النبوية في تنمية المهارات الإيمان بالله، والدعاء، والتحفيز والتشجيع، وتبادل الخبرات والمعلومات وغيرها.

التوصيات:

- ضرورة ربط السنة النبوية بالعلوم العصرية وفق منهج يحافظ على الموروث ويستفيد من المكتسب .

([١١١]) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب التفسير ج٦، مرجع سابق، ص٧٩ .

([١١٢]) المرجع السابق، كتاب الهبة، ج٣، مرجع سابق، ص١٦١.

- لفت نظر التربويين والقادة والمصلحين إلى ما في سنة النبي ﷺ من النظم الاجتماعية والإدارية المتميزة.
- رعاية الندوات والمؤتمرات التي تدرس السنة النبوية وفق منهج متكامل يعم كافة مناحي العلوم والتخصصات.
- تدريس مقررات في الكليات العلمية والادبية تحتوي على مثل هذه الجوانب، لتتكامل المعارف التطبيقية والأدبية مع تطوير الذات وفق المنهج النبوي.

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

١. يوسف حامد العالم(١٩٩٤م) المقاصد العامة للشريعة الإسلاميَّة، ط٢، دار الكتاب الإسلامي الرياض.

٢. النووى، أبو زكريا يحى بن شرف الدين(د.ت) المنهاج شرح صحيح مسلم، كتاب القدر، ج١٦، المطبعة المصرية .

٣. عبد الحليم أحمدي، فطرية الإسلام عند ابن تيمية، مجلة الشريعة والدراسات الإسلاميَّة، العدد ٢٠ مايو ١٩٩٣م.

٤. الزبيدي، مرتضى(د.ت) تاج العروس، ج١٦، مطبعة حكومة الكويت، الكويت.

٥. ابن منظور، محمد بن مكرم(١٣٠٠هـ) لسان العرب، ج٧، المطبعة الأميرية بولاق، مصر.

٦. باقر شريف القرشي(١٩٨٧م) النظام السياسي في الإسلام، ط٤، دار المعارف للمطبوعات.

٧. حمودة، محمد يوسف(١٩٨٩م) منهج التربية عند الإمام أبي العزائم، ط١، دار المدينة المنورة للطبع والنشر.

٨. البخاري، محمد بن إسماعيل(١٩٨٧م) الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: مصطفى ديب البغا، ط٣، ج٥، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت .

٩. تتان، عبد الكريم (١٩٩٤م) عون المريد شرح جوهرة التوحيد، ط١، ج١، دار البشائر للنشر والتوزيع، دمشق.

١٠. مسلم بن الحجاج(د.ت) الجامع الصحيح، باب فضل الماهر بالقرآن،ج٢، المكتبة العامرة تركيا.

١١. القاضي عياض(١٩٩٨م) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ط١،ج٣، دار الوفاء مصر

١٢. الراغب الأصفهاني(١٩٨٥م) الذريعة إلى مكارم الشريعة، ط١، دار الصحوة، القاهرة .

١٣. القاضي عياض(د.ت) الشفا بتعريف حقوق المصطفى،ج١، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٤. الترمذي، محمد بن عيسى(١٩٨٦م) الجامع الصحيح، ط١، ج٤، دار الفكر بيروت.

١٥. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي(د.ت) فتح الباري، كتاب الرقاق،ج١١، المكتبة السلفية.

١٦. المناوي، محمد عبد الرؤوف(د.ت) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ج٦، دار المعرفة بيروت.

١٧. تنمية المهارات القيادية للعاملين وعلاقتها بالاداء الوظيفي في مجلس الشوري السعودي، ناصر بن على الصامل، راسالة ماجستير في العلوم الإدارية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.

١٨. الطبري، محمد بن جرير(د.ت) جامع البيان، ج١١، دار هجر للطباعة .

١٩. علي الصلابي(د.ت) سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، دار المعرفة للطباعة، بيروت.

٢٠. على الطنطاوي(١٩٨٦م) أبوبكر الصديق، دار المنارة، جدة.

٢١. المباركفوري، الرحيق المختوم، وزارة الأوقاف، قطر.

٢٢. ابن كثير، اسماعيل(د.ت) البداية والنهاية، ج١، بيت الأفكار الدولية.

٢٣. ابن الأثير، علي بن محمد (د.ت) أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٤. ابن عساكر، علي بن الحسن(د.ت) تاريخ مدينة دمشق، ج١٦، دار الفكر، بيروت.
٢٥. فؤاد الآغا(٢٠٠٨م) علم الاجتماع العسكري، دار اسامة للنشر والتوزيع.
٢٦. العقاد، عباس محمود (د.ت)عبقرية خالد، سلسة كتاب الشعب، مصر.
٢٧. فايد العمروسي(د.ت) خالد بن الوليد، دار الشروق، بيروت.
٢٨. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي(١٤١٥هـ) الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض،ج٤، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٩. ابن العربي، أبوبكر (د.ت) عارضة الاحوذي، ج١٣، دار الكتب العلمية بيروت.
٣٠. العدوي، مصطفى(١٩٩٥م) الصحيح المسند من فضائل الصحابة، ط١، دار ابن عفان للنشر، السعودية.
٣١. الساعاتي، أحمد عبد الرحمن(د.ت) الفتح الرباني بترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل،ج٢٢، دار التراث العربي.
٣٢. ابن العربي، ابوبكر(د.ت) عارضة الاحوذي،ج٩، دار الكتب العلمية، بيروت.
٣٣. الشاطبي، ابراهيم بن موسى(١٩٩٠م) الموافقات، ط١، ج٢، دار الكتب العلمية، بيروت.